شعر الخوارج دراسة في الرّؤية والتّشكيل الفنيّ

"عمران بن حِطّان أنموذجًا"

د. المعتز بالله حمدي منصور

أكاديمية مسيعيد الدولية – دولة قطر

أ. آلاء محمود تيّم

وزارة التربية والتعليم – الأردن

الملخص

تقف هذه الدراسة عند فرقة من أكبر الفرق التي أنهكت الدّولة الأمويّة لكثرة الحروب معها، وهي فرقة "الخوارج" ومع شاعر من أكبر شعرائها الذي قضى حياته مطاردًا هاربًا من الحكم الأمويّ وحزبه؛ مع "عمران بن حطان" في محاولة لرصد تأثير فكر الخوارج وانعكاسه على شعره من حيث الرّؤية والمضمون، ودراسة التّشكيل الفنيّ في أشعاره لبيان السّمات اللفظيّة والمعنويّة فيه؛ وممّا دفعنا لاختيار هذه الفرقة للدّراسة أنّ أشعارهم تنبض بالصدق، وتتقّدُ بالحماسة في جهادهم وكفاحهم، إضافة إلى تشبّثهم بالعقيدة التي يعتنقونها، أمّا عن شاعرنا "عمران" فيعود سبب اختيارنا له تلك الأبيات التي قالها في مدح عبد الرحمن بن ملجم قاتل عليٍّ – رضي الله عنه– الأمر الذي دفعنا لدراسة شخصيّته ومعرفة الرّؤية التي ينطلق منها في أشعاره.

وقد اتّكأنا في هذه الدّراسة على المنهج التاريخيّ، والمنهج التحليليّ في دراسة الأبيات وفهمها، وبني هذا البحث على مقدّمة تاريخيّة للمرحلة الواقعة بين مقتل عثمان بن عفان– رضي الله عنه– إلى مسألة التّحكيم وظهور الفرق على إثرها، ثم عمدنا إلى التّعريف بالخوارج

وألقابهم ونشأتهم، وقمنا بترجمة سريعة للشاعر "عمران بن حطان"، للولوج إلى تحليل أشعاره للكشف عن المضمون والتّشكيل الفنيّ فيها، إلى أن انتهى بنا المطاف إلى خاتمة خلصت إلى جملةٍ من النّتائج التي وصلت إليها الدّراسة.

كلمات مفتاحية: شعر الخوارج، عمران بن حطان، العصر الأموي.

The Kharijite poetry Study of artistic and composition

Imran bin Hattan as example

Dr. "Al-Mutaz Belah" Hamdi Mansour

Ala'a Mahmoud Tayym

Abstract

This Study consider one of the largest sects that exhausted the Umayyad state, due to many wars with it: the Kharijite sect and one of its greatest poets who spent his life chasing and fleeing Umayyad judgement and his sect, named Imran bin Hattan. This is in an attempt to observe the impact of Kharijite thought and its reflection in his poetry with regards to vision and content. In addition, [we observe] the artistic composition in his poems to highlight the linguistic and moral features in it. What prompted us to choose this sect to study is that their poems are characterized by truth, and zeal in their struggle and battle, in addition to their adherence to the belief that they profess. As for our poet, Imran, perhaps the reason for our choosing him goes back to those verses uttered in praise of Abdul Rahman bin Muljam- the assassin of Ali, may God be pleased with him- which led us to study his personality and understanding the outlook from where he sets out in his poems.

In this study we relied upon historical and analytical methodology when studying and understanding the verses. This study comprises a historical introduction to the period between the killing of Uthman bin Affan- may God be pleased with him- to the issue of arbitration and the emergence of sects following it. Then we proceeded to introduce the Kharijites and their titles and origins. We then gave a brief biography of the poet Imran bin Hattan in order to access the analysis of his poems to reveal the content

and artistic composition therein. We ended with a conclusion that resulted in a set of outcomes that the study achieved.

Key words: The Kharijite poetry, Imran bin Hattan, Ummayyad era.

مقدّمة تاريخيّة

يأتي الأدب معبّرًا عن كوامن النّفس البشريّة وما يعتريها من طموحات وصراعات، وما يختلجها من آلام وآمال، فهو تلك البوتقة التي ينصهر فيها إبداع الشّاعرِ وتبرز فيها تجلّياته، وتتبلور فيها بنيات أفكاره، وللشّعر خصوصية كبيرة في انفراده بخصائص فنية تميّزه عن النّثر، والشّعر ديوان العرب وعنوان الأدب كما يسمّيه "أبو فراس الحمدانيّ"، ونقف في هذه الدّراسة على أكبر فترة صراع في تاريخ الدّولة الإسلاميّة، تلك الفترة التي شهدت ظهور فرق وأحزاب تحت ظلّ دولة إسلاميّة واحدة، لنرى كيف كان الشّعر حاضرًا في تفاصيل هذه الأحداث، فقد حفل الأدب العربي بشعر السياسة في القرن الأول الهجري؛ لأنه عهد تأسيس الدولة وامتداد نفوذها وانتشار الفرق والتيارات الدينية، حيث قام الشعر بتسجيل أفعال هذه الفرق إزاء الأحداث المتلاحقة في تلك الآونة.

فقد شهدتِ الدّولةُ الإسلاميّةُ منذُ أواخرِ عهدِ عثمانَ —رضي اللهُ عنه– اضطراباتٍ سياسيّةً تركتْ آثارَها الواسعةَ في الشّعر، وقد كانتْ أُوْلى تلكَ الأحداثِ مصرعُ الخليفةِ الثّالثِ عثمانَ بنِ عفّان —رضي الله عنه– على يدِ ثلّةٍ من الخارجين, وقد آلتْ الخلافةُ مِنْ بعدِهِ إلى عليّ بنِ أبي طالبٍ الذي حاولَ إعادةَ الأمنِ لهذهِ الدّولةِ ونشرِ الاستقرارِ فِيْها, إلّا أَنّ قضيةَ عثمانَ ظَلّتْ تُفْسِدُ أوضاعَ الأمّةِ الإسلاميّةِ إفسادًا انتهى بتكوينِ حِزْبَيْنِ كَبيرَيْنِ هما: الشّيعةِ وهُم أنصارُ عليٍّ في العِرَاقِ, وحزبِ معاويةَ في الشّامِ.

واحتدمَ الصراعُ بينَهُما لينتهيَ بمعركةِ صِفّينَ (١) بينَ جيشي معاويةَ وعليّ، حيثُ تكوّنَ جيشُ معاويةَ من سكّانِ الشّامِ، من القبائلِ القحطانيّةِ اليمنيّة (قُضَاعة وحِمْيَر)، وقبائلَ عدنانيّةٍ (ربيعة ومُضر)، ومن الجديرِ ذكرُهُ أنَّ الشّامَ كانَت تحتَ حكمِ معاويةَ قرابة عشرين عامًا، وكانتْ

الشّامُ القطرَ الوحيدَ الذي لمْ يشتركْ في ثورةِ عثمانَ في المدينةِ (٢)، أمّا جيشُ عليٍّ فقدْ تكوّنَ من عناصرَ مختلفةٍ منْ سكّانِ العراقِ، الذين نزحُوا إليها وإلى مِصْرَ، ومنْ سكّانِ نَجْدٍ وأنْصارِ المدينةِ منَ الأوسِ والخزرجِ، وقبائلَ ربيعة ومضر وبعضِ اليمنيّةِ التي نزحتْ إلى العراق بعدَ الفَتْحِ (٣)، وكانتْ تتنازعُ أفرادَ الفريقَيْنِ أهواءٌ مختلفةٌ، فقومٌ يعتقدونَ موقنينَ أنَّ عثمانَ خليفةُ دينٍ قُتِلَ مظلومًا، ويطالبونَ بالثأرِ من قَتَلَتِهِ (أنصارِ مُعاويةَ)، وقومٌ يرونَ أنّ عليًا أولى بالخلافةِ وأنّ عثمانَ اقترفَ مَا يستحقُّ منْ أجلِهِ القتلَ (أنصارُ عليٍّ)، وكانتْ العصبيّةُ القبليّةُ قويّةً جدًا في هذهِ الحربِ، لتبدأ مرحلةٌ جديدةٌ منَ الصّراعِ على الخلافةِ. فما أنْ ظهرتْ مشكلةُ التّحكيمِ (٤) واضطرَّ عليٌّ مُرغمًا قَبُولَهَا بوجودِ العديدِ منَ العناصرِ المُنْدسّةِ في صفوفِ جيشِ عليٍّ، أبرزُهُم الأشعثُ وفريقُهُ، وبعضُ القرّاءِ، حتّى تشكّلَ حزبٌ جديدٌ رفضَ التّحكيمَ مُحتجًّا أنّ الحُكمَ للهِ وحدَهُ ولرسولِهِ وليسَ لأحدٍ منَ الرّجالِ، وأرادُوا استمرارَ القتالِ بينَ الطرفَيْنِ، وهؤلاءِ هُمُ الخَوارجُ، ويجدرُ بِنا ذكرُ هذه الملاحظةِ قبلَ الولوجِ إلى شعْرِ الفِرَقِ:"أنّ الجِدالَ أيّامَ البعثةِ كان قائمًا حولَ دينٍ ونظامٍ يُفسَّر وُيطبَّق، كان هناك بين الجاهلية والإسلام، وكان هنا بين الأحزاب الإسلامية كيف تكون الحكومة وأين تكون ومن الحاكم ؟"(٥).

تعريفُ الخوارجِ

وردتْ كلمةُ الخوارج في لسانِ العربِ تحت مادة (خَرَجَ)، "والخوارجُ: الحروريّة، والخارجيَة طائفةٌ منهم لزمهم هذا الاسمُ لخروجِهِم عنِ النّاس، والخوارجُ قومٌ من أهل الأهواءِ لهم مقالةٌ على حدة". (٦)

"والخوارج جمع خارج وخارجيّ، مشتقّ من الخروجِ، ويأتي لفظُ الخروجِ في اللّغة لعدّة معانٍ، منها: أنه يأتي بمعنى يوم القيامة" (٧)، كما في قوله تعالى: "يومَ يسمعونَ الصّيحةَ بالحقّ ذلك يومُ الخروجِ". (٨)

"وورد الخروج في القرآن بمعنى الجهاد، قال تعالى: "ولو أرادوا الخروج لأعدُّوا له عُدّة"(٩)، وذَكَرَ علماءُ اللغة أنّ الخوارجَ سُمّوا بذلك لخروجهِم على النّاس، أو على الإمام عليٍّ –رضي الله عنه– بعد موقعة صفّين". (١٠) ويرى بعض مؤرّخي كتبِ الفِرَقِ أنَّ تسميةَ الخوارج

جاءتْ لخروجهم على الإمام عليٍّ –رضي الله عنه–، بَيْدَ أنّهم اختلفوا في أسبابِ التّسمية على قولَيْنِ:

الأوّل: ما يذهبُ إليه البغداديُّ في كتابه الفَرقُ بينَ الفِرَقِ بأنَّ سببَ تسميتِهِم بالخوارج هو خروجهِم على عليٍّ بنِ أبي طالبٍ –رضي الله عنه–.

والثاني: ارتباط المعاني الاصطلاحيَّة بالمعنى اللغويّ للخروج بمعنى خروج فئةٍ من النّاس على الإمام الذي اتّفقت عليه الجماعة في أيّ عصرٍ كان.(١١)

ألقابُ الخوارجِ

للخوارجِ ألقابٌ وأسماءٌ كثيرةٌ:

أولًا: الخَوارج، وهو أشهرُ أسمائِهِم وأكثرُها استعمالًا، وهو الاسمُ الذي يشملُ جميعَ فِرَقِهم.(١٢)

ثانيًا: الحروريّة؛ وذلك لانحيازِهم أوّلَ أمرِهِم إلى قرية حروراء قربَ الكوفةِ.(١٣)

ثالثًا: المحكّمة، اشتهروا بهذا اللقب بسببِ إنكارِهِم للتّحكيمِ بينَ عليٍّ ومعاويةَ، وقولهم: "لا حُكْمَ إلّا لله".(١٤)

رابعًا: الشّراة: "وهو بالنسبة لهم لقبُ مَدْحٍ، وذلك نسبة للشّراء" (١٥) في قوله تعالى: "إنّ اللهَ اشترى منَ المؤمنينَ أنفسَهُم وأموالَهُم بأنَّ لهُمُ الجنّة".(١٦)

قال البغداديُّ: " يُقال للخوارجِ: محكمة وشراة، واختلفوا في أوّلِ من تَشَرَّى منهم".(١٧)

وخروجُهم يعودُ إلى أمرين: أولّهما: موقفهم من الإمامةِ وبدعتهم منها، إذ جوّزوا أن تكون الإمامةُ لغيرِ القرشيّين، وثانيهما: قولهم أنّ عليًا أخطأ في التّحكيمِ، إذ حكّم الرّجال.(١٨)

نشأةُ الخوارجِ

روحُ الخوارجِ ظاهرةٌ طبيعيّةٌ، تظهرُ إثْرَ كلّ عقيدة، فقد وُجدت منذُ فجْرِ الإسلامِ، ويدلُّ على ذلك موقف الرّسولِ – صلّى الله عليه وسلّمَ– من ذي الخُوَيْصِرَةِ الذي طلبَ منهُ العدْلَ في توزيعِ الغنائمِ بعدَ غزوةِ حُنينٍ، ثمّ قالَ رسولُ اللهِ للصحابةِ بعدَ أنْ غَضِبُوا منْ كلامِ هذا الرّجلِ: إنّه يَخرج من ضِئْضِئِ هذا قومٌ يتْلون كتابَ اللهِ رطْبًا، لا يجاوزُ حناجِرَهم، يَمْرُقُونَ منَ الدّينِ، كما يَمْرُقُ السَّهْمُ منَ الرَّميةِ(١٩). نجدُ في هذا الحديثِ إشارةً للصحابةِ أنّ هذا الرّجلَ سيقوى وسيكونُ منْ مَعْدنه قومٌ لشدةِ تمسّكِهم بالدّينِ يخرجونَ على عامَة المسلمينَ.

وكانَ أوّلُ ظهورِهِم عَقِبَ التّحكيمِ بينَ عليٍّ ومُعاويةَ وما كان من رضى عليٍّ به، فقد تنادى فريقٌ من جيشه لا حُكم إلا لله، وبذلك خرجُوا عليه، ثم عدّوه ومَنْ معهُ مِنَ الضّالّين، وتجبُ الهجرةُ عليهم، كما هاجرَ الرّسولُ على أهلِ مكّة، فقدْ هاجروا إلى (حروراء) بالقربِ من الكوفةِ، ولذلك سمّوا بالحروريّة (٢٠)، وسمّوا بالخوارج لخروجهم عن الجماعة مستمدّينَ ذلك من قوله تعالى: "ومن يخرجْ منْ بيتِهِ مهاجرًا إلى اللهِ ورسولِهِ ثمّ يُدْرِكْهُ الموتُ فقدْ وَقَعَ أَجْرُهُ على اللهِ".(٢١)

فهم يرون أن عليًا ومعاوية يقتتلان على الخلافةِ، وهي ليست لأحدِهِما فثارُوا على ذلك ثورةً عنيفةً عَدُّوها جهادًا في سبيلِ اللهِ، وجاهدُوا عليًا –رضي اللهُ عنه– لكنّهُ نكّلَ بهم في موقعة النّهروان(٢٢)، ولم يلبثْ ابنُ ملجمٍ المرَاديّ (٢٣) أنْ قَتَلَهُ.

وعندما آلتْ مقاليدُ الحُكْمِ إلى معاويةَ رأوا أنّه إمامٌ زائفٌ، وأخذتْ عقيدتُهُم تتبلورُ بسرعةٍ حولَ محورٍ ثابتٍ هوَ أنَّ الخلافةَ للمسلمينَ كافّةً، وليستْ مُقتصرةً على قريشٍ وَحْدَهَا، وإنّمَا هيَ لأكفأ المسلمينَ وخيرِهم تقوًى وورعًا، ولو كان عبدًا حَبشيًا.(٢٤)

وأثّرتْ عقيدُتُهم في نفوسِ كثيرٍ من الموالي والعَرَبِ، فانضمَّتْ فئةٌ كبيرةٌ منهم إلى الخوارج، وتعدُّ البصرةُ مهْدَ نشاطِهِم الأوّلِ، وقد تولّى أمرَها زيادُ بنُ أبيهِ، ونكّل بهم أشدَّ تنكيلٍ، فاضطرُّوا

إلى الاختفاءِ، ومضى في سياستِهِ مِنْ بعدِهِ ابنُه عبيدُ اللهِ وعنّفَ بهم وقتلَ مِنْ رجالِهم الكثيرَ.(٢٥)

وعندَ خروجِ أبي بلال مرداس إلى الأهوازِ سنةَ ثمانٍ وخمسينَ للهجرة، بعثَ إليه ابنُ زيادٍ جيشًا عِدادُه ألفان، غيرَ أنّ الجيشَ هُزمَ هزيمةً نكراءَ في موقعةِ آسك*، وأرسلَ إليه ابنُ زيادٍ جيشًا آخرَ بقيادةِ زُرعةَ بنِ أسلمَ العامريّ، ولاقى مصيرَ سابِقِه نفسه، وفي عامِ واحدٍ وستينَ للهجرةِ، بعثَ إليه عبّادَ بنَ علقمة فهزمَه وقَضَى عليه.(٢٦)

وأخذ الكثيرُ من الخوارجِ يدعونَ للاقتداءِ بأبي بلال في خروجِهِ، وكانوا يريدونَ الوقوفَ بجانبِ ابنِ الزّبيرِ بادئَ الأمرِ، ثمّ ما لبثُوا أنِ انفضُّوا مِنْ حولِهِ؛ لأنّه لا يرى رأيَهُم، وذهبُوا إلى البصرةِ يدعونَ لمحاربةِ السُّلطانِ.(٢٧)

فِرَقُ الخوارج

"كَثُرَتِ الخوارجُ من الأزدِ اليمانيّة، ومن تميم المضريّة، وانضمّ إليهم بعضُ الموالي في مذهبِهِم القائمِ على المساواةِ بينَ المسلمينَ وألّا فضلَ لعربيٍّ على عجميٍّ إلا بالتّقوى وأنّ الحكم يكونُ لأكفَئِهم من الرّجالِ دون مراعاةِ جنسٍ أو طبقةٍ أو قبيلةٍ".(٢٨)

وللخوارجِ طوائفُ شتّى، أشهرُها أربعة، وهذا التّعددُ قائمٌ على الاختلافِ في بعضِ التَفاصيلِ الدّينيّةِ فيما بينَها:

١. الأزارقة: أتباعُ نافع بن الأزرق الحنفيّ، وهي أشدُّ طوائفِ الخوارجِ إعناتًا لمن خالفَهُم، فقد كفّرُوا جميعَ المسلمينَ، وأحلُّوا قتلَ أطفالِهِم، وحرّمُوا أكلَ ذبائِحِهِم، والإصهارَ إليهم، والأخذَ بالتّقية، وكفروا القعدة الذين يقعدون عن القتال(٢٩)، ومن ذلك قولُ مِعْدان الإيادي:(٣٠)

سلامٌ على من بايعَ اللهَ شاريًا وليس على الحزْبِ المقيمِ سلامُ

وقدْ ضَعُفَ أمرُهم لكثرةِ هزائِمِهم منْ قِبَلِ الأُمَويّين في ظلِّ قيادةِ زعيم الخوارج (قَطَريُّ بن الفجاءة).

٢. الفرقة النّجدية (النجدات): أصحابُ نجدة بن عامر الحنفيّ، وقدْ خالفوا الأزارقة في أمور منها: استحلالُ قتلِ الأطفالِ الأمر الذي كان يؤمن به الأزارقة؛ لأنّهم عندَ (النّجدات) لا يُأخَذون بذنوبِ آبائِهم، ومنها أنهم يستحلُّونَ دماءَ أهل الذِّمّة الذين يعيشون مع مخالفيهم، فيجري عليهم ما يجري على مَنْ يعيشون معهم، وهذا يخالف رأي الأزارقة، وقد أخذ النجدات بمبدأ التّقية: بأن يُظْهِرَ الخارجيُّ أنّه جماعيّ حَقْنًا لدمه.(٣١)

٣. الفرقة الصُّفْرِيّة: وهم أتباعُ زياد بن الأصفر، ولذلك؛ يسمّون صفريّة أو زياديّة، وقيل إنّهم سمّوا صُفرية؛ لأنّ ألوانَهم كانت مُصفرّة، وهم في آرائهم أقلُّ تطرّفًا من الأزارقة، وهذه الفرقة لا ترى إباحةَ دماءِ المسلمين, ولا ترى أنّ دارَ المخالفين دارُ حربٍ, ولا ترى جوازَ سبيِ النِّساءِ والذّريّة, بل لا ترى قتالَ أحدٍ غيرَ مُعسكرِ السُّلطانِ.(٣٢)

"وبعدِ موتِ أبي بلال مرداس اتخذت الصفريّة عمرانَ بنَ حِطّانَ إمامًا وقائدًا لها، حيثُ كانَ ناسِكًا وشديدًا في مذهبِ الصُّفريّة".(٣٣)

٤. الإباضيّة: وهم أتباعُ عبدِ اللهِ بن إباضٍ التميميّ، الذي خرجَ أيّامَ مروانِ بنِ محمّدٍ، وكانَ من أتباعِ نافعٍ الأزرقِ، ثمّ خالفَهُ في مسائلَ، وكان نفوذُهُم في اليمنِ وحضرَموت (٣٢)، ولهم آراءٌ فقهيّةٌ معتدلةٌ؛ ومن آرائِهم أنّ المخالفينَ ليسُوا مُشرّعين، وإنّما هم كفّارُ نِعْمة وليسُوا كفّار اعتقادٍ، ودماؤُهُم حَرَامٌ ودارُهُم ليستْ دارَ حربٍ، وتجوزُ عندَهُم شهادةُ المخالفينَ ومناكحتُهم.(٣٥)

"والإباضيّة أقربُ الفِرَقِ إلى السُّنّة، وأكثرُها اعتدالًا، وما زالَ هناك بقايا منها في منطقةِ المغربِ العربيّ إلى اليومِ".(٣٦)

وإذا تتبّعْنَا حركةَ الخوارجِ في حالةِ الحربِ التي بدأتْ بالثّورةِ ضدَّ عليٍّ بنِ أبي طالبٍ، ثمّ انتقلتْ بعدَ ذلكَ إلى خلفاءِ بني أميّة، فهم يرونَ أنّهم على طريقِ الحقّ، وما سواهم كافرٌ يُسْتَحَلُّ دَمُهُ.

"ووصَلتِ الخوارجُ إلى ذُرْوةِ دعوتِها في عهدِ الخليفةِ عبدِ الملكِ بنِ مروانَ، الذي تصدَّى لهم منْ نَوَاحٍ ثلاثٍ:

أولًا: تصدّيه للأزارقةِ، متمثّلة بزعيمها نافعِ بنِ الأزرقِ، وانتهاءً بقَطَري بنِ الفُجاءة.

ثانيًا: تصدّيه للنّجدات بقيادةِ أبي فديك وقَتْلِهِ.

ثالثًا: قتل شبيب الخارجيّ، الذي أتعب الدّولة في حربه".(٣٧)

وقد قلّ نشاطُهم في نهايةِ الدّولةِ الأمويّةِ، وانقرضتْ حركتُهُم في عهدِ الدّولةِ العباسيّةِ.

عِمْرانُ بنُ حِطّان

هو أبو شهابٍ عِمْرانُ بنُ حِطّانَ بنُ ظبيان بنُ شعلٍ بن معاويةَ بنُ الحرثِ بنُ سدوسٍ ابنُ شيبانَ بنُ ذهلَ بنُ ثعلبةَ بنُ عكابةَ بنُ صَعبٍ بنُ عليّ بنُ بكرٍ بنُ وائلٍ السّدوسيّ التابعيّ المشهور، أحدُ رؤوسِ الخوارجِ، ومن شعراء القعديّة.(٣٨)

قال أبو اليقظان: عمرانُ من بني الحارثِ بن سدوسٍ، ويُكنّى أبا دلَن، رأسٌ من رؤوس الخوارج، وشاعرٌ مُحْسِنٌ مِقْدامٌ، وأشعرُ النّاس في الزّهد، يقول أبو الفرج عنه: "كان قبلَ أن يفتنَ بالشّراة مشتهرًا بطلب العلم والحديث حتى بُلِيَ بهذا المذهب، فَضَلَّ وهَلَك، -لعنه الله-".(٣٩)

نجدُ شُحًا في ذكْرِ عمرانَ في المصادرِ التاريخيّةِ، فابنُ قتيبة يتجنّبُ ذكرَهُ ويذكرُ الطّرمّاحَ، وابنُ سلّام يذكرُ قَطَريَّ بنَ الفُجاءةِ ولا يذكُرُهُ، والطبريُّ يكتفي بالإشارةِ إلى أنّ هذا البيتَ لعمران، في مؤلّفه الضخم(٤٠)، نشأ عمران في البصرة، ولا نجد تاريخًا محدّدًا لمولده، وكلُّ ما تشيرُ إليه الرّواياتُ أنّه كان شيخًا أوّلَ ولاية الحجّاجِ على العِرَاقِ سنة خمسٍ وسبعينَ للهجرة.

اشتُهِرَ بطلبِ العلمِ والحديثِ، وروى عنْ عائشةَ وأبي موسى الأشعريّ وابنِ عبّاسٍ وابنِ عُمَرَ، فهو مَشْهودٌ له بالصّدق وروى عنه أصحابُ الحديث؛ إذْ إنّه أدركَ صَدْرًا من الصّحابة وروى عنهم، ويصفُهُ الشّهرستانيُّ بقولِهِ: "هو مُفتي الخوارجِ وزاهدُها وشاعرُها الأكبرُ"(٤١)،

وحظيَ عمرانُ بمكانةٍ مرموقةٍ عندَ ساسةِ الدّولةِ والشّعراء في عصرِهِ، رَغْمَ اختلافِ الرُّؤى والمعتقداتِ، ويعدُّهُ الأخطلُ من أشعر الشّعراء(٤٢)، وقد تمثّل سفيانُ الثوريُّ شعرَه في الزّهد، ومن ذلك قوله:

أرى أشقياءَ النّاسِ لا يسأمونَها على أنّهم فيها عُراةٌ وجُـــوّعُ

أراها وإنْ كانت تُحَبُّ كأنّهـا سحابةُ صَيْفٍ عن قَليلٍ تَقْشَعُ

يقولُ الجاحظ في كتابه البيان والتّبيين: "هذا ورَغْم قعودِ عِمران عن القتالِ، وشهودِ الوقائعِ فإنّهُ أصلبُ من قطري دينًا وأشدُّ غلوًا في فكرةِ الخوارجِ...، ولكنّه دونَه في الشّجاعةِ والبأسِ".(٤٣)

اعتنقَ عمرانُ مذهبَ الخوارجِ، وخالفَ أهلَ السّنّةِ، ترأّسَ فئةً عُرِفَتْ بالفتوى في الدّينِ وصحّةِ الرّوايةِ وثقةِ العلمِ، فأصبح شاعرَها وخطيبَها، تشهدُ له بذلك خصومُهُ، وقدْ كان اعتناقُ عمرانَ لمذهبِ الخوارج، إثْر تزوجه ابنة عمّه وكانت خارجيّة (٤٤)، من أجل ثنيها عن مذهب الشّراة، فكانت هي مَنْ جعلتهُ يعتنقُ مذهبَهَا، وفي رواية أخرى أنّه جادل حروريًّا في مجلس، فتبدّل رأيه وأصبح خارجيًّا في المجلس ذاتِهِ، والأرجحُ أنّ زوجَهُ هي التي كانت لها اليدُ الطولى في تحوّلِهِ، وقد تحمّل صنوفًا مختلفةً من الشّقاءِ والحرمانِ والمرارةِ في رحلةٍ قلقةٍ مضطربةٍ عاشَها هاربًا فارًّا من ملاحقة الأمويين وبقي مُطاردًا من خليفةٍ إلى آخرَ ابتداءً من الحجّاج، فهرب حينَها إلى الشّام، ومن بعدِها إلى عُمان عندما طلبه عبد الملكِ بن مروان، وظلّ ينتقل إلى أن مات (٤٥) سنة أربعٍ وثمانين هجريّة، بعد أن قام الأخيرُ بهدرِ دمِهِ، حتّى وافتْه المنيّةُ في قريةٍ من قرى الكوفة وهو مُستخفٍ فيها، وطوال هذه الرّحلةِ الشّاقّةِ لم تنقطع عباداتُهُ وصلواتُهُ، فقدْ كان مُتبتّلًا متضرّعًا إلى الله رَغْمَ المطاردةِ والملاحقةِ البشعةِ وبقيَ راضيًا.

الرؤية في شعْرِ عِمْرانَ بن حِطّان

اتّخذ شعرُ الخوارجِ طابعًا عامًّا، فقد غلبَ على شعرِهِم الحماسة، حتّى أنّه شاعَ كثيرًا نِسبةُ شعرِ بعضِهِم لبعضٍ، واختُلفَ في القصيدة الواحدة، فشعرُهُم ذو أصالةٍ عربيّةٍ، ودوافِعُهُم

إسلاميّة، فهم يُخالفونَ شعراءَ عصرِهِم ومَنْ سَبَقُوهُم بعُزُوفِهِم عنِ البُكاءِ على الأطلالِ، وانصرافِهِم عن الغزلِ، ووصفِ الرّحلةِ مع أنّهم كانُوا كثيري التّرحالِ؛ لمطاردتِهِم من قبلِ الأمويّين، إضافةً إلى أنّ معظمَ شعرِهِم جاءَ على شكلِ قِطَعٍ شِعْريةٍ تَقِلُّ فيه القصائدُ الطوالُ؛ وذلك انعكاسًا لحياتِهِم غيرِ المستقرَّةِ من قِتالٍ وفِرارٍ وترحالٍ.

غطّى شعرُ عمرانَ جزءًا كبيرًا من فِكْرِ الخوارج ومعتقداتِهِم في الحياةِ والموتِ والزّهدِ، فهم يعتقدُونَ أنّ كلَّ أعمالِهِم طريقُ قُربَى إلى اللهِ، وثَمَنٌ للجَنَّة التي شروا أنفسهم لها، فهذا عمرانُ بن حطّان يصوّرُ الجريمةَ البشعةَ التي قامَ بها عبدُ الرّحمن بنُ ملجمٍ بقتلِهِ عليَّ بنَ أبي طالبٍ- بأنّها قُربى إلى اللهِ تثقُلُ بها الموازينُ، بقول: (٤٦)

يا ضربةً من تَقِيٍّ ما أرادَ بِهَا إلّا ليبلُغَ من ذي العَرْشِ رِضْوَانَا

إنّي لأذكرُهُ حينًا فأَحْسبُـهُ أَوْفَى البَرِيَّةِ عندَ اللهِ مِيْـــزَانَـا

وقد لاقتْ هذه الأبياتُ صدًى كبيرًا وتناقلتْها الألسنُ؛ فهو يمدحَ قاتلَ علي – خليفة المسلمين – ابنَ عمِّ رسولِ اللهِ وأحدِ المبشَّرينَ بالجنَةِ وهو من افتدى الرّسولَ بنفسِهِ، وممّن ردَّ عليه القاضي أبو الطيب طاهر بن عبد الله الشافعي الطبري في قوله: (٤٧)

إنّي لأبرأُ ممّـــا أنتَ قائلُـهُ عن ابنِ ملـــجمٍ الملعونِ بُهتانا

يا ضربةً من شقيّ ما أراد بها إلّا ليهدمَ من ذي العرشِ بُنيانا

إنّي لأذكرهُ يومًـــا فألعَنُـهُ وألـــعنُ عِمرانَ بنَ حِطّانـا

والفكرةُ من هذه الرّدود التي تحمل في طيّاتها اللعنةَ على ابنِ ملجمٍ وعمرانَ بن حطّان الاستهجانُ والاستغرابُ من جرأتِهِ في مدحِ قاتلِ عليٍّ — رضي الله عنه- الذي يعدّ عند الخوارج كافرًا، ففي الأبيات استفزازٌ واضحٌ للمشاعرِ، فهم يرونَ قتله تقرّبًا إلى اللهِ، فهو فرضٌ دينيٌّ يستوجبُ ثوابَ اللهِ وحُلولَ رضوانِهِ، ويقرّر عمرانُ بأنّ القاتلَ أوفى البريّةِ ميزانًا عندَ اللهِ لفعلتِهِ التي قامَ بها، وَاستمدَّ مضمونَ الأبيات من إيمانِهِ العميقِ بفِكْرِ الخوارجِ.

وفي تناوله موضوع "الفِدَاء" يتمثّل الفكرةَ التي جاء بها القرآنُ الكريمُ في قوله –تعالى– : "إنّ أكرمَكُم عندَ اللهِ أتقاكُم" (٤٦)، فلا منزلةَ للحسبِ أو النّسَبِ وإنّما يُقاسُ المرءُ بمنزلةِ تقواه في الدّينِ، ومع جمالِ هذه الفكرةِ إلّا أنّها من أقوى الأفكارِ التي أشعلتِ الحروبَ في عصرِ بني أميّة، فقد عادتْ العصبيّة القبليّة التي أخمدَ الإسلامُ جزءًا كبيرًا منها قويّةً، فاستغلَّها الأمويّون وأضرمُوا نيرانَها باعتمادهم على العصبيّة اليمنيّة في تثبيتِ دعائمِ حكمِهِم، وقد كانتْ معركةُ (مرج راهط ٦٤هـ) الشهيرةُ شاهدةً على تجلّي العصبيّة بأبشعِ صورِهَا، وفي ذلكَ يقولُ عمرانُ عن الأزْد الذين أوى إليهم آخرَ أمرِهِ في منطقةِ (روذميسان) جانبَ الكوفةِ: (٤٩)

نزلنا بحمـــد الله في خير منزلٍ نُسَـــرُّ بما فيه من الأُنسِ والخفــر

نزلنا بقومٍ يجمع الله شــملهم وليس لهم دعوى سوى المجدِ يُعتَصر

من الأزد إنّ الأزدَ أكرمُ معشرٍ أتوْني فقالــوا: من ربيعةَ أو مُضَــر

أم الحيُّ قحطانٍ فتلكمْ سَفاهةٌ كما قال لي روحٌ وصــاحبُهُ زُفَــر

وما منهما إلا يُسرُّ بنســبةٍ تقرّبني منه وإن كان ذا نفـــــر

فنحن بنو الإسلام واللهُ واحدٌ وأولى عبادِ اللهِ باللهِ مَنْ شــكــر

فهو يرى أنّ الانتسابّ إلى مُضر وقحطان سفاهة، وقولُهُ نحنُ بنو الإسلامِ فيه جمالُ التعبير بتساوي المسلمين بانتسابِهِم للدّين (الإسلام) انتسابًا صحيحًا، ثمّ بتساويهم في تلك الصّفةِ، فهو لا يعبأُ بالأنسابِ ولا لرابطة الدم خلافَ هؤلاء القومِ.

ويعتدُّ عمرانُ بنفسِهِ ويُرجِعُ ذلك إلى رضاه عن تديّنِهِ، فأيُّ رجلٍ يتمنّى أنْ يكون على صلةٍ مع نسبِ ابنِ حطّان، ومبعثُ هذا الاعتداد الدّين، لا الحَسَبُ والنّسَبُ، ولا الجاهُ والسُّلطانُ.

ومن جهةٍ أخرى نلحظُ العاطفةَ الإنسانيَّة المتّسمةَ بالحنانِ واللُّطفِ باعتذاره عن الخروج لما قد يلحق ببناتِهِ من ضررٍ، راسمًا صورةً محزنةً لما ستؤولُ إليه حياة بناته من اللينِ إلى

الخشونةِ، ومن الصّفاءِ إلى الكَدَرِ، حيثُ ستبدو أجسامُهُنَّ هزيلةً وهنَّ عارياتٌ، وغيرهن مكسوَّاتٌ هانئاتٌ، وتكمُنُ صورتُهُ الرّقيقةُ الحسّاسةُ بعزوفِهِ عن الخروجِ (فرضٌ دينيٌّ) حرصًا على بناتِهِ وشفقةً عليهنَّ، بقوله: (٥٠)

لقد زادَ الحياةَ إليَّ حبًّـــــــا بناتي إنهنّ من الضِّــعـافِ

ولولا ذاكَ قدْ سوّمْتُ مُهْري وفي الرّحمنِ للضُّعفاءِ كافِ

وقد رثى عمران بن حطان أبا بلال مرداس، الذي كان بالنسبة له قدوةً يُحتذى بها، وكان يحبّه حبًّا جمًّا، ومن ذلك أبياته التي قالها تخليدًا لمناقِبِهِ الحسنةِ: (٥١)

وقد زادَ الحياةَ إليّ بُغضــــــا وحبًّا للخُـــــروجِ أبو بِـــلالِ

أحاذرُ أن أموتَ على فراشي وأرجو الموتَ تحتَ ذُرى العَوالي

وأني لو علمتُ بأن حَتْفـي كحتـــفِ أبي بلالٍ لم أُبـــالِ

فمن يكُ همُّهُ الدُّنيا فإنّـي لَهَـــا واللهِ ربِّ البيتِ قالِـــي

فأبو بلال يمثّلُ لعمران رمزًا معنويًا كبيرًا، فهو القائدُ الخارجيُّ المغوارُ الذي تنازعت على حبّه الكثيرُ من الفِرَقِ الخارجيّةِ، فقد افتدى مذهَبَه بنفسِهِ وتركَ رحيلُه أعمقَ الأثرِ في نفوسِ إخوانِه الشّراةِ، فاشتعلتْ عندهم دوافعُ الانتقامِ للقيامِ إلى الجهادِ؛ بيد أنّ شاعرنا كان من "القعدة"، وربّما يكون سببُ ذلك كِبَرُ سنّهِ الذي حالَ دونَ خروجِهِ إلى ساحاتِ القتالِ، ففي الأبياتِ السّابقةِ نجدُ إكبارَ الشّاعرِ وإجلالِهِ لأبي بلال، راغبًا في الشَّهادة شاريًا نفسَهُ، زاهدًا في الدّنيا وما فيها، فغايةُ أملِهِ ومُناهُ أن يحظى بالشّهادة التي نالها أبو بلال، نافضًا يديه من الدّنيا وزينتِها ومتاعِها، متمنيًّا ميتةً تزغردُ لها السّيوفُ، فقد سئمَ الدّنيا بما فيها من عَنَتٍ وتَعَبٍ راجيًا الرّاحة بالقرب من أبي بلال وصَحْبِهِ، داعيًا أصحابه من القعدة للخروجِ إلى القتالِ.

وفي مقطوعة أخرى، يرثيه قائلًا: (٥٢)

يا عينُ بكّي لمــــرداسٍ ومَصْرَعِهِ يا ربَّ مرداسٍ اجعلني كمرداسِ

أبقيتني هائمـــــًا أبكي لِمَرْزَأتـي في منزلٍ موحشٍ من بعد إيناسِ
أنكرتُ بعدَكَ مَن قد كنتُ أعرِفُه ما النّاسُ بعدَك يامرداسُ بالنّاسِ
إمّا شـــــربتَ بكاسٍ دارَ أولهـا على القرونِ فذاقوا جرعةَ الكاسِ
فكلُّ مَن لمْ يَذُقْها شاربٌ عَجِلًا منها بأنفاسٍ وردٍ بعدَ أنفـاسِ

وتحملُ هذهِ الأبياتُ معانيَ التّفجعِ والحسرةِ والألمِ، ففيها انتقالٌ في المعاني بين السّماءِ والأرضِ، وبينَ مخاطبةِ اللهِ ووصفِ ما أنزلهُ من بلاءٍ، ومن جهةٍ أخرى فيها مخاطبةٌ للعين ونداءٌ للرَّب أن يحظى بمصيرِ مُشرّفٍ كمصيرِ أبي بلال مرداس بن أدية، فكأنَّ الدِّيارَ أقفرتْ من بعد الإيناسِ لفقدهِ، فكلُّ شيءٍ أصبحَ وغَدَا بلا قيمةٍ بعده، فقد كان هو الأنيسُ الرفيقُ. ونلحظُ الأسى والحزنَ المسيطريْنِ على الأبياتِ؛ فكبرُ سنّهِ حالَ دونَ التحاقِهِ بمراكبِ الشّهداءِ، فهو يذوقُ مرارةَ الفَقْدِ الذي فتحَ جُرْحًا غائرًا في صَدْرِهِ لنْ يَبْرأَ، فهذي مآقي العينِ لا تكادُ تتوقفُ عن البكاءِ، وها هو ينتظرُ الموتَ الذي لا محالة قادمٌ، ينتظرُهُ بطعمِ الشَّهادةِ والرِّضوانِ، وعلى النقيضِ من ذلك يتردَّدُ صدى الحياةِ في شعرِهِ مع إحساسِهِ أنّ الموتَ يقتربُ منهُ، وذلك ما يتجلّى في قوله:(٥٣)

أُرانا لا نَمَلُّ العيشَ فيـها وأُولعْنا بحرصٍ وانتظـــــارِ
ولا تَبْقى ولا نَبْقى عليها ولا في الأمرِ نأخذُ بالخيـارِ
ولكنّ الغداةَ بنو سـبيلٍ على شرفٍ يسيرُ إلى انحدارِ

ومارسَ عمرانُ الجهادَ بالكلمةِ في حوارِهِ مع أهلِ العراقِ؛ بمهارتِهِ الكبيرةِ في الإقناعِ والتّأثيرِ وهذا كلُّه ينبعُ من صدقِ إيمانِهِ وغيرتِه عليه، ومن ذلك قوله:(٥٤)

وإخوةٍ لهم طابتْ نفوسُهـــم بالموتِ عند التفافِ النَاسِ بالنَاسِ
واللهِ ما تركوا من منبعٍ لهدًى ولا رَضَـــــوْا بالهُوَيْنا يومَ ميجـاسِ
أتعجزونَ وترجون اللّحاقَ بِهـم أنّى يكونُ ذوو عجْزٍ كأكيـاسِ

وخافَ عمرانُ على نفسِهِ من ملذّاتِ الدّنيا ومتاعِهَا، فها هو يناجي حبيبته قائلًا:(٥٥)

يا جمرُ يا جمرُ لا يطمحْ بك الأمـلُ فقدْ يُكذّبُ ظنَّ الآمِلِ الأجــلُ

يا جمرُ كيفَ يذوقُ الخفضَ مُعْتَرِفٌ بالموتِ، والموتُ فيما بعدَهُ جلَلُ

كيفَ أواسيكِ والأحداثُ مُقبلــةٌ فيها لكلِّ امرئٍ عنْ غيرِهِ شُغُلُ

فهادمُ اللذات يُنغّص عليه حياته، فكيف تطيبُ الحياةُ والموتُ يطلبُهُ والأحداثُ العظيمةُ ترقُبُه، يومَ يفرُّ كلُّ امرئٍ بنفسِهِ منشغلًا بخَلَاصِهَا من ذاك الموقفِ العصيبِ، واتّسمَ شعرُهُ بالزّهدِ برقة ألفاظه وتأثيره في السماع، ويمثّلُ الزهدُ حالةً من الرَّفضِ والاغترابِ لهذه الفانيةِ، فالموتُ عندهم هو الأملُ للخلاصِ منها.

"فالخوارجُ في الأصلِ من سكّانِ الباديةِ الذين اعتادُوا خشونةَ العَيْشِ، وزادتْهُم تعاليمُ الإسلامِ ابتعادًا عن مُتَعِهَا، وتعلّقِهِم بالنّعيمِ الدّائمِ في الآخرةِ، ومن هنا ظهرتْ فكرةُ السّأمِ والتّبرمِ والزّهدِ في الحياةِ".(٥٦)

قال عمرانُ شعرًا كثيرًا ضخمًا في مدح ورثاء قادته من الخوارج خلّدهم فيه، وانصرف عمران عن الغزل والمدح والخمريّات ففي ذلك بابٌ من أبوابِ النّفاقِ والتّكسبِ، فهو يرى أنّ الممدوحَ والمادحَ كلُّهم بيدِ اللهِ فلا حاجة لهذا المدْح، يقول في ذلك مخاطبًا الفرزدق الذي كان يمدح من أجل العطاء: (٥٧)

أيُّها المادحُ العبادَ لِتُعْطــى إنّ للهِ ما بأيدي العِبــادِ

فاسألِ اللهَ ما طلبتَ إليهــم وارجُ فضلَ المقسِّمِ العوادي

لا تقلْ في الجوادِ مَا ليسَ فيه وتُسمّي البخيلَ باسم الجَوادِ

وفي أبياتٍ أخرى يخاطبُ الحجّاجَ الذي لاذَ بالفرار من زوجة عمران "غزالة"، في قوله:(٥٨)

أســـدٌ عليَّ وفي الحُروبِ نعامـةٌ رَبداءُ تُجفلُ من صـفيرِ الصّافرِ

هَلّا بَرزْتَ إلى غـــزالةَ في الوَغى بلْ كان قلبُكَ في جناحَيْ طائِرِ

صَدَعَتْ غزالةُ قلبَه بفـــوارسٍ تَرَكَـــتْ مَنابِرَهُ كأمْسِ الدّابـرِ

أَلْقِ السِّلاحَ وخُذْ وِشاحَيْ مُعْصِرٍ واعـــمَدْ لمنزلةِ الجَبانِ الكافِرِ

فهذه شَجاعةُ غزالة قد دفعتِ الحجّاجَ إلى أن يلوذ بالفرار هربًا منها، فقد عُرفت بالبَسَالةِ – فهي إحدى مقاتلاتِ الخوارج — و لهزيمته تلك أصبح جادّا في طلب عمران، الأمر الذي دفعَ الأخيرَ أن يمشيَ متنكرًّا في أحياءِ العربِ وقبائِلِهم، إلى أن وصلَ الشّام على هيئةِ رجلٍ أزديٍّ، حتى نزل عند رَوْح بن زنباع، ولعمران مع روح قصةٌ مشهورةٌ، فقد أكرمَ رَوحٌ عمرانَ مدّة عامٍ كاملٍ دون أن يعرفَ أنه هو عمرانُ الخارجيُّ المطلوبُ للدّولةِ الأمويةِ، وفي ذلك قال عمران أبياتًا بعد فرارِهِ من عبد الملكِ بنِ مروانَ حينَ علمَ أنه اكتشفَ أمرَه، تاركًا إيّاها لروح في منزلِهِ، قائلًا:(٥٩)

يا رَوْحُ كَمْ مِنْ أَخي مثوى نزلتُ بِهِ قدْ ظنَّ ظنَّكَ مِنْ لَخْمٍ وغَسّـــــان

حتى إذا خِفْتُهُ فارقْتُ مَنزِلَـــــــه مِن بعدِ ما قيلَ:عمرانُ بنِ حِطّــانِ

قدْ كنتُ ضيفَكَ حَوْلًا لا تُرَوِّعُنـي فيهِ الطّوارِقُ مِن إنسٍ ومِنْ جـــانِ

حتى أَرْدَتْ بي العُظمَى فأَوْحَشَني ما أوحشَ النَاسَ مِن خوفِ ابنِ مَرْوانِ

فاعذرْ أخاكَ، ابنَ زنباعٍ، فإنّ لَه في الحادثاتِ هِناتٍ ذاتَ ألـــوانِ

لو كنتُ مُسْـتغفِرًا يومًا لطاغيـةٍ كُنْتَ المقَدّمَ في سِـــرّي وإعْلانـــي

لكنْ أَبَتْ لي آياتٌ مُطهــرّةٌ عندَ التلاوةِ في طهَ وعِمْـــــــران

تمثّل الأبيات السابقة مقطعًا من حياة المطاردةِ والفرارِ التي لازمت عمران، فهي حياةٌ أقضَّت مضجَعَهُ وأرّقَتْه، والخوفُ والقلق أضحيا ملازمَيْنِ له في كل أحواله، إلا أنّه لم ينسَ إكرام روح له وحسن ضيافتِهِ إيّاه، بيْد أنّ عقيدتَهُ الخارجيّةَ تنهاه أن يستغفرَ له، فالموالون للشّراة هم المؤمنون، وما عداهم كفّار وجبت لهم النّار.

وقد وصفه عبدُ الملك بن مروان لروح بن زنباع عندما أخبره الأخير بقوله: "إنّ في أضيافنا رجلًا ما سمعت منك حديثًا قط إلا حدّثني به، وزاد فيما ليس عندي" فأجابه عبد الملك: "ممّن هو؟" قال: "من الأَزْد"، قال: "إني لأسمعك تصف صفة عمران بن حطّان؛ لأنّني سمعتك تذكر لغةً نِزاريّة، وصلاةً، وزهدًا، وروايةً، وحفظًا، وهذه صفته".(٦٠)

وفي نهاية هذا المبحث لا تفوتُنا الإشارةُ إلى أنّ النّبعَ الذي استقى منه الخوارجُ معانيَهم ومضامينَ شعرِهِم هوَ القرآنُ الكريمُ، إلا أنّهم غالَوْا فيها في ترجيحِ جانبٍ وإغفال آخر، لذا نجد أغلبَ أشعارِ الخوارجِ تحملُ الصّبغةَ ذاتَها من إقبالٍ على الحياةِ الباقيةِ والإعراضِ عن الفانيةِ، التي تعدُّ من أبرزِ رؤى العقيدةِ الخارجيّةِ.

التشكيلُ الفنيُّ في شعر عمران بن حطّان

تختلفُ القصائدُ في نَظْمِهَا وإنْشَادِها، نظرًا للدّوافع النّفسيةِ التي اعترت الشّاعرَ عند إنشائها، وما أجمل ذاك النّظم حينَ يُمْتِعُنَا الشّاعرُ بلغةٍ أسلوبيّةٍ عاليةٍ خارجةٍ عنِ المألوفِ بجملةٍ منَ الإبداعاتِ والانزياحاتِ والدّلالاتِ والكنايات والاستعارات والصّورِ الفنيّةِ على اختلافِ طرقِهَا! فنجدُ أنفسَنَا أمامَ لوحةٍ فنيّةٍ منقوشةٍ بشتّى ضروبِ الجمالِ والإبداعِ، تحتاجُ إلى سَعَةِ تأمُّلٍ في تفاصيلِها الظّاهرةِ، واستنباطِ ما حُجِبَ عنّا من أسرارٍ في تراكيبِ تلك الأبياتِ وما تحمِلُهُ في ثناياها من إشاراتٍ.

يعدُّ الصّدقُ أبرزَ صفةٍ امتازَ بها شعرُ الخوارجِ، لموافقةِ أقوالِهم أفعالَهم وضربِهم أروعَ الأمثلةِ في التّضحيةِ والجهادِ والفداءِ، فكانَ أحدُهم إذا رُميَ بسهمٍ أثناءَ المعركةِ يزيدُ من غرسِهِ في بطنِهِ وصدرِهِ مخاطبًا ربَّهُ بقولِهِ: "وعجلتُ إليكَ ربِّ لترضى"(٦١)، وهذا ليس بالغريبِ على فئةٍ شرتْ أنفسَها للهِ حبًا وطمعًا في الأجرِ والثّوابِ، فهذا عمران لم يقاتلِ الحجّاجَ ولم يشترك بأيّ قتالٍ ضدَّه بعد قوله:(٦٢)

أَأُقاتِلُ الحَجّاجَ عن سُــلطانِه بِيَدٍ تُقــــرُّ بأنها مولاتُــــــه

إنّي أِذنْ لأخو الدناءةِ والذي   عَفّتْ علـــــى عِرْفانِهِ جَهلاتُـه

ماذا أقولُ إذا وَقَفْتُ مُوازِيًا   في الصّفِ واحتجّتْ لَهُ فعلاتُه

وهذا دليلٌ على موافقةِ فعلِه قولَه، وصدقِهِ في التَّعبيرِ عمَا يجولُ في خَلَدِهِ ونفسِهِ.

ويتجلّى صدقُ الشّعورِ في مدحِهِ أبا بلال مرداس بعد فقدِهِ عزيزًا على قلبه، وكأنَّ الدُّنيا قد تبدّلتْ وتغيَّرَ حالُها، وذلك في قوله:(٦٣)

أنكرتُ بعدَك مَنْ قدْ كنتُ أعرِفُه   ما الناسُ بعدَك يامرداسُ بالنّاسِ

إمّا شـــــــربتَ بكاسٍ دار أولهـا   على القرونِ فذاقوا جرعةَ الكاسِ

ولا غَرْوَ أنَّ شعرَ الخوارجِ صريحٌ واضحٌ مباشِرٌ يخلو من الكناياتِ والرّموزِ والتّعقيداتِ، فهو شعرٌ سليمُ اللغةِ والمِبْنَى، فقد كانُوا مشغولينَ بالحروبِ والفرارِ بأنفسِهِم من مطاردةِ الحكمِ الأمويّ وأتباعِهِ، ومن ذلك ما نجده في قوله:(٦٤)

فإن أكُ في أخذِ العــــطيةِ مربحًا   فإنكَ في بذلِ العـــطيّة أرْبَـحُ

لأنّ لكَ العُقبى من الأجرِ خالصًا   وشُكْريَ في الدنيا فحظُّكَ أرْجحُ

فهو يرمي إلى أنّ البذلَ أفضلُ من الأخذِ؛ لأنّه عينُ العطاءِ والإنسانُ الذي يبذلُ توهبُ له المِنحُ والعطايا في الدّنيا والآخرةِ.

وقد قادت هذه المباشرة الخوارجِ عامّةً، وعمران خاصّةً إلى الابتعاد عن الخيالِ والتّهويلِ، والابتعاد عن الصّنعةِ والإغرابِ، فهو شعرٌ خالصُ المشاعرِ خالٍ من أيّةِ مراوغةٍ في دفعِ المتلقّي وإثارةِ شُجُونِهِ وحواسّهِ في رسمِ صورةٍ من وحيِ خيالِهِ تحاكي ما يرمي إليه الشّاعرُ، ومن ذلك قولُ عمران: (٦٥)

نزلت بحمد الله في خَيْرِ أُسرةٍ   نُسّرُّ بما فيهم من الإنسِ والخَفَـــــرِ

نزلْنا بقومٍ يجمعُ اللهُ شـملَهُمُ   وليسَ لهُمْ عُوْدٌ سِوَى المِجْدِ يَعْتصِرِ

ومما صُبِغَ به شعرُهُ وضوحُ أفكارِهِ فهي لا تحتاجُ إلى سَعَةِ تفكيرٍ وتحليلٍ، بلْ هي أفكارٌ سهلةٌ واضحةٌ مباشرةٌ متسلسلةٌ عندما يقصُّ حَدَثًا أو يرثي مَرثيًا، ومن ذلك قولُهُ في رِثَاءِ أبي بلال مرداس: (٦٦)

يا عينُ بكّي لمرداسٍ ومصرَعِهِ يا ربَّ مِرْداسٍ اجْعلني كَمرداسِ

أبْقَيْتْني هائمًا أبكي لِمَرْزأتـي في منزلٍ موحشٍ من بعدِ إيناسِ

وتجدُرُ الإشارةُ إلى إثراءِ عمران لحقولِهِ اللغويةِ والدّلاليّةِ من وحيِ القرآنِ الكريمِ لفظًا ومعنًى، فالقرآنُ نبعٌ لا يَنْضَبُ، كيف لا وهو الخطيبُ الفقيهُ النّاسكُ العابدُ، فالقرآنُ حاضرٌ في ذهنِهِ يستحضرُ منه ما يشاءُ في الموقفِ المرادِ، ومن ذلكَ ما نجدُهُ في قولِهِ:(٦٧)

أَمْ مَنْ تلظّى عليهِ موقدةُ النا رِ مُحيطٌ بهم سُـــرادِقُهـا

أمْ أسكنُ الجنّةَ التي وُعِدَ الـ أبرارُ مصـــفوفةً نمارقُهـا

لا يسْـــتوي المنـزلانِ ولا الأعمالُ لا تستوي طرائقُها

فنجِدُهُ استقى ألفاظَ القرآنِ الكريمِ مُوظّفًا إيّاها في أبياتِهِ، بذكر النّارِ وصفاتِهَا والجنّةِ ونعيمِهَا، والفرقِ بينَ الظَّفَرِ بالجَنَّةِ أوِ الخلودِ في النّارِ.

واتّسَمَتْ أبياتُهُ بسهولةِ الألفاظِ وبساطَتِهَا، حيثُ جاءتْ اللغةُ سلسةً سهلةً منسابةً قريبةً من النّفسِ، وكذلك جاءتْ المعاني واضحةً مكثّفةً غزيرةً لا تحتاجُ إلى تأويلٍ أو تفسيرٍ، فقد كانتْ مباشرةً صريحةً لا غموضَ فيها ولا التباس، ومن ذلك قولُهُ: (٦٨)

يا رَوْحُ كَمْ مِنْ أَخي مثوى نزلتُ بِهِ قدْ ظنَّ ظنَّكَ مِنْ لَخْمٍ وغَسّـــان

حتى إذا خِفْتُهُ فارقْتُ مَنْزلَـــــه مِن بعدِ ما قيلَ:عمرانُ بنِ حِطّــانِ

قدْ كنتُ ضيفَكَ حَوْلًا لا تُرَوّعُنـي فيهِ الطّوارِقُ مِن إنسٍ ومِنْ جـــانِ

حتى أَرْدَتْ بي العُظمَى فأَوْحَشَني ما أوحشَ النَاسَ مِن خوفِ ابنِ مَرْوانِ

فاعذرْ أخاكَ، ابنَ زنباعٍ، فإنّ لَه في الحادثاتِ هِناتٍ ذاتَ ألـــــوانِ

لو كنتُ مُسْتغفِرًا يومًا لطاغيـةٍ كُنْتَ المقَدّمَ في سِرّي وإعْلانـــي

لكنْ أَبَتْ لي آياتٌ مُطهــرّةٌ عندَ التلاوةِ في طهَ وعِمْـــــران

ولم يَخْلُ شعرُ عِمْرانَ منَ الصّنْعةِ الموسيقيّةِ، إذ إنّها تعتبر من أبرزِ الفنيّاتِ التي تميّزُ الشِّعرَ وتُعلي قَدْرَهُ، ففي رثائه لأبي بلال مرداس نلحظُ تِكرارًا للحُرُوفِ تارةً وتكرارًا للكلمات تارةً أخرى:(٦٩)

يا عينُ بكّي لِمِرداسٍ ومَصْرَعِه يا ربَّ مرداسٍ اجعلني كمرداسِ

أبقيتني هائمًا أبكـــي لِمَرزأتــي في منزلٍ موحشٍ منْ بعدِ إيناسِ

أنكرتُ بعدَكَ مَنْ قد كنتُ أعرفُه ما الناسُ بعدكَ يامِرداسُ بالناسِ

إمّا شـــربتَ بكاسٍ دار أولهـا على القرونِ فذاقوا جرعةَ الكاسِ

فكلُّ مَنْ لمْ يذقها شاربٌ عَجِلًا منها بأنفاسِ وردٍ بعدَ أنفــاسِ

فالتّكرارُ من الظّواهرِ الأسلوبيّةِ التي وقفَ عندها البلاغيّونَ العربُ من تكرارِ حرفٍ أو كلمةٍ، فالجانبُ الإيقاعيُّ في الشّعرِ قائمٌ على التّكرارِ، فالإيقاعُ ما هو إلّا أصواتٌ مكرّرةٌ تثيرُ في النّفسِ انفعالًا ما، ويُعدُّ التّكرارُ شكلًا من أشكالِ الانزياحِ الصوتيّ؛ لما يحملُ من دلالاتٍ يرمي الشّاعرُ إيصالَها من خلالِ الإيقاعِ الدّاخليّ.

فنلحظُ تكرارَ حرفِ السّينِ في الألفاظِ (النّاس، أنفاس، كاس، مرداس) وما يُحدِثه من أثرٍ موسيقيّ في نفسِ السّامعِ، فالسّينُ حرفٌ مَهْموسٌ رَخْوٌ وفيه صفةُ الصّفيرِ، وتكرارُ حرفِ السّيْنِ يحقّقُ أَثَرًا واضحًا في ذهنِ المتلقّي، ويجعلُهُ مُتَهَيّئًا للولوجِ إلى أعماقِ النَّصّ الشّعريّ وسَبْرِ أغوارِه، وهو ملائمٌ لحالةِ الانكسارِ النفسيّ التي يعيشُها الشّاعرُ معبّرًا عن إحساسِه الأليمِ الذي اعتراهُ في مصابِه المتمثّلِ بفَقْدِ القائدِ القدوةِ الرفيقِ في درْبِ دعوةِ الخوارجِ ونِضَالِهم، كما جعلَ حرف الرّوِي في السّينِ المكْسورةِ التي تعكِسُ ظِلَالَ الحُزْنِ المخيّمِ على الشّاعرِ وشدّةِ انكسارِه

لهذا الخَطْب، ويحملُ تكرارُ اسمِ (مرداس) دلالةً نفسيّةً على اضطرابِ الشّاعرِ وحُزنِهِ الشّديدِ، فكأنّهُ يردّدُ الاسمَ بلا وعيٍ، لِعِظَمِ الخَطْبِ والمصابِ الجَلَلِ، وقدْ تعمّدَ عمرانُ هذا الضَّرْبَ من الموسيقى ليعبّرَ عنْ غَرَضٍ فنيٍّ أرادَ إيصالَهُ وهو شِدَّةُ فَقْدِهِ ولَوْعَتِهِ على قائِدِه أبي بلالٍ.

وفي مثالٍ آخرَ، استحضرَ عمرانُ التّكرارَ بتركيبٍ لُغَويٍّ شَمِلَ أداةَ النّداءِ والمنادَى، بقولِهِ:(٧٠)

يا جمرُ يا جمرُ لا يطمحْ بك الأملُ فقد يُكذّبُ ظنَّ الآمِلِ الأجــلُ

يا جمرُ كيفَ يذوقُ الخفضَ معترفٌ بالموتِ، والموتُ فيما بعده جَلَلُ

فكرّرَ عمرانُ (يا جمرُ) في البيتين ثلاثَ مرّاتٍ ممّا يشيرُ إلى أهميّةِ المنادى وعِظَمِ الأمرِ الذي سيبلّغُها إيّاه، فهو يقرّرُ لها حقيقةَ هذه الدنيا الفانيةِ، وألّا يُلهيَها طولُ الأَمَلِ عنِ العَمَلِ، فالموتُ لا ينتظرُ أحدًا وما سيأتي بعدَهُ منْ أحْدَاثٍ لهيَ أمورٌ جَلَلٌ؛ وكأنّهُ كرّرَ الاسمَ للتّنبيهِ والتّحذيرِ، واستخدمَ أداةَ النّداءِ (يا) فهي تشيرُ إلى البُعدِ الذي يرميهِ في قولِهِ بأنّ الأملَ طويلٌ. أداة

ويتكرّرُ هذا الضّرْبُ كثيرًا عندَ عِمْرَان، فنجدُهُ يقولُ(٧١):

لا يُعجزُ الموتَ شيءٌ دونَ خالقِهِ والموتُ فانٍ إذا ما نالهُ الأَجَلُ

وكلُّ كربٍ أمامَ المـــوتِ مُتَّضِعٌ للموتِ، والموتُ فيما بعدَهُ جَلَلُ

وهنا عمَدَ إلى تِكرارِ لفظةَ (الموت) خمسَ مرَّاتٍ في البيتينِ، وفي ذلك توضيحٌ لهدفِهِ المتمثِلِ بحقيقةِ الدّنيا الزائلةِ وعِظَمِ الموتِ وما بعدَهُ منْ أحْداثٍ، وبتكرارِ هذهِ اللفظةِ يحدِثُ جرْسًا موسيقيًا مؤثّرًا حاملًا في طيّاتِهِ المعاني الواضحةِ في حتميّةِ الموتِ ومآلِ الإنسانِ الذي لا مفرَّ منهُ.

ومن جُملة الانزياحاتِ الصّوتيّةِ كان الطّباق والمقابلةُ حاضريْنِ في شعرِهِ، لما يُضفيانِهِ من جَمَالٍ أسلوبيّ وجرْسٍ موسيقيٍّ، وقد طوّعهما لخدمةِ أغراضِهِ الشّعريّةِ من رثاءٍ وزُهدٍ، ففي قولِه:(٧٢)

فإن أكُ في أخـــــذِ العطية مربحًا فإنكَ في بـــــذل العطيّة أرْبــحُ

لأنّ لك العُقبى من الأجرِ خالصًا وشُكْريَ في الدنيا فحظُّكَ أرْجحُ

جَمَعَ لفظَيْ الطّباق (أخذ، بذل)، في سياقِ التّعبيرِ عن أهميّةِ البذلِ والعطاء، ليدلَّ على أنّ العطاءَ والبذلَ أفضلُ من الأخذِ على مرّ الأزمنةِ والأمكنةِ؛ فهو يشيرُ إلى أهميّة بذلِ الأرواحِ رخيصةً في سبيل اللهِ لا التمسّك بها والحرص على هذه الدنيا الفانيةِ.

ونجدُ الطّباقَ والمقابلةَ في قوله أيضاً: (٧٣)

وقد زادَ الحيـــــاةَ إليّ بُغضًا وحُبًّا للـــــخروجِ أبو بـــــلالِ

أحاذرُ أن أموتَ على فراشي وأرجو الموتَ تحتَ ذُرى العوالي

فقد جمعَ بين (البُغضِ والحبِّ) في سياقِ رثاءِ القائدِ المغوارِ، البطلِ الصّنديدِ، أبي بلالٍ القدوةِ لكل الخوارجِ بإقدامِهِ وفروسيّتِهِ، حيثُ أنّ الحياةَ ازدادتْ بُغْضًا إلى نفسِهِ، والموتُ أصبحَ محبّبًا يستعذبُ ذِكرَاه، مقبِلًا عليه مستعدًا للقائه. وفي البيتِ الثّاني نجدُ المقابلةَ في (أحاذر أن أموت على فراشي) مع عجز البيت (أرجو الموت تحت ذرى العوالي)، فهو يقابلُ الحالة التي لا يرجوها (الموت عاجزًا على الفراشِ) مع الحالةِ التي يرنو إليها الموت تحت ذرى العوالي أي (الشّهادة)، ويتّضحُ جليًا فكرُ الخوارجِ في أسلوبِ المقابلةِ هذا كما تخدِمُ المقابلةُ الإيقاعَ الداخليَّ للأبياتِ بإحداثِ التّشويقِ والدّافعيّةِ في قراءةِ الأبياتِ.

أما الجناس فلم يغب عن ذهنِ عمران، فهو من المحسناتِ البديعيّةِ التي يمكنُ إدراجُهَا تحتَ الانزياحِ الصوتيّ، وأساسُهُ التّماثُلُ الصَّوتيُّ للكلماتِ مع اختلافِ معناها داخلَ البيتِ،

وتنتجُ عنْهُ قيمةٌ جماليّةٌ فنيّةٌ، فهو يزيد من التّناغمِ، ومن ذلك قوله مخاطبًا الحجّاجَ بعد أن أطلقَ سراحَهُ:(٧٤)

أأقولُ جَارَ عليَّ إنّي فيكُم لأحقُّ مَنْ جارتْ عليه وُلاتُهُ

تاللهِ ما كدْتُ الأميرَ بآلةٍ وجوارحِي وسلاحُها آلاتُـهُ

جاءَ الجناسُ النّاقصُ في الكلمتين: "جار، جارت" في سياقِ بيانِ الظّلمِ الواقعِ عليهِ من قبلِ الحجّاجِ في أسرِهِ قبل إطلاقِ سراحِهِ؛ بيدَ أنّه في البيت الثّاني يوضّحُ عدمَ تعرُّضِهِ للحجّاجِ بأيّ شكلٍ من أشكالِ التّمرُّدِ والعِصيانِ؛ فكلُّ تلك الطُّرقِ محكومةٌ في نهايتِها للخلافةِ الأمويّةِ.

ونلحظ استخدامه أسلوب الاستفهام الاستنكاري؛ الذي يخدم غرض الأبيات وهي إعلان استسلامه وعدم مراوغته للحجاج بعد أن أطلق سراحه، كما عمد إلى استخدام أسلوب القسم الذي يبين عظمة المقسم عليه وهو " عدم كيده للأمير مرة أخرى"، وفي البيت إشارة إلى ركون عمران آخر عمره واستسلامه وخضوعه للأمر الواقع الذي لا مفر منه، فهو لا بد هالك على أيدي الحزب الحاكم وأشياعه.

الخاتمة

وخلاصة القول يمثل عمران بن حِطّان مرآة صادقة لشعر الخوارج عامّة ولفرقته الصفرية خاصة؛ تلك الفرقة التي تشدّدت في إيمانها واستصغرت إزاءه كلّ شي آخر، مع الإشارة إلى أنّ عمران كان من الصفرية القعدية؛ الذين قعدوا عن القتال والجهاد؛ وكان منهم بحكم كبر سنه الذي لا يعينه على خوض معارك طاحنة؛ فأخذ يصور معاناة المطاردة والهروب من فتك الأمويين وبطشهم، وكان الخوارج أصدق الجميع عقيدة, وأفناهم في سبيلها وأقواهم إرادة وأدباً، فشعرهم جاء حارًّا ملتهبًا متدفقًّا تشع منه حرارة الإيمان بالمذهب الذي يفتدونه بأنفسهم، وهو يطرح في أشعاره موضوعات الزهد والانعتاق من الفانية في سبيل الظفر بالجنة ونعيمها

وخلودها، والموت عنده هو الضيف المنتظر الذي يحمل الحياة الحقيقية، فهو على أهبة الاستعداد لملاقاته شهيدًا مناضلا لا مستسلمًا عاجزًا.

وامتازت لغة ابن حطّان بسهولة الألفاظ ودقتها ورقتها، واستقائها من وحي القرآن الكريم وكذلك المعاني في جلّها جاءت واضحة مباشرة تخلو من الغموض والتعقيد والتلميحات، تميّز شعره بالصدق والإخلاص والجرأة، وببساطة التصوير وبلاغة التأثير.

الحواشي

١. للمزيد، انظر: ابن كثير، أبو الفداء الحافظ إسماعيل بن كثير الدمشقي (ت ٧٧٤هـ)، **البداية والنهاية**، تحقيق (محمد بيومي، عبد الله المنشاوي، محمد رضوان مهنا)، مكتبة الإيمان، المنصورة، ج٧، ص٢٥٣ – ٢٥٨.

٢. سهير القلماوي، **أدب الخوارج في العصر الأموي**، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠١٠، ص٣٤.

٣. **المصدر السابق**، ص٣٥.

٤. للمزيد، انظر: ابن كثير: **البداية والنهاية**، ج٧، ص٢٧٦ – ٢٧٨.

٥. أحمد الشايب، **تاريخ الشعر السياسي إلى منتصف القرن الثاني الهجري**، القاهرة، مكتبة النهضة المصرية، ط٣، ١٩٦٢م، ص.٢٨.

٦. ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين بن مكرم (ت٧١١ هـ)، **لسان العرب**، م٢، بيروت، دار صادر، ج١٣، ص١٢٦، (مادّة حَرَجَ).

٧. الزّمخشري، جار الله محمود بن عمر (ت ٥٣٨ هـ)، **أساس البلاغة**، ج١، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط ٣، ١٩٨٥م، ص٢٢١.

٨. سورة ق، الآية ٤٢.

٩. سورة التوبة، الآية ١٠٥.

١٠. الزّبيديّ، محمد مرتضى الحسيني (ت ١١٤٥هـ)، **تاج العروس من جواهر القاموس**، دراسة وتحقيق (علي شيري)، بيروت، دار الفكر، ج١، ص٣٠

١١. الشهرستاني، أبو الفتح محمد بن عبد الكريم بن أبي كبر أحمد (ت ٥٤٨هـ)، **الملل والنحل**، القاهرة، مؤسسة الحلبي، ج١، ص١١٧.

١٢. المبرّد، أبو العباس محمد بن يزيد (ت ٢٨٦ هـ)، **الكامل في اللغة والأدب**، تحقيق (عبد الحميد هنداوي)، ط١، بيروت، دار الكتب العلمية، ط١، ٢٠٠٢م، ص٩١١

١٣. انظر: شوقي ضيف، **العصر الإسلامي**، القاهرة، دار المعارف، القاهرة، ص١٨٦.

١٤. **المصدر السابق**، ص ١٨٦.

١٥. **المصدر السابق**، ص ١٨٥ – ١٨٦.

١٦. سورة التوبة، الآية ١١١.

١٧. الشهرستاني، **الملل والنحل**، ج١، ص١١٥.

١٨. **المصدر السابق**، ص ١١٥.

١٩. للمزيد انظر: مسلم بن الحجاج، **صحيح مسلم**، بيروت، دار الفكر للطباعة، ٢٠٠٤، كتاب الزّكاة، تسلسل الحديث ٢٣٤٥ – ١٠٦٤، وابن كثير، البداية والنهاية، ج٧، ص٢٩٠ – ٣٠٧.

٢٠. انظر: شوقي ضيف، **العصر الإسلامي**، ص١٨٦.

٢١. سورة النساء، الآية ١٠٠

٢٢. النهروان: موقع بين بغداد وحلوان، جرت فيه معركة بين علي بن أبي طالب والمحكّمة، وانتهت بانتصار جيش علي، ولم ينج منهم إلا أربعون رجلًا هم أصلُ الخوارج ومبدأ ملّتهم، وكانت الواقعة في الثامن من شهر صفر عام ثمانية وثلاثين للهجرة. ابن كثير، **البداية والنهاية**، ج٧، ص٣١٧، وأصبحت النهروان مجدهم في الاستشهاد الديني، فكان لها تأثير معنوي في كل ثورة قامت بعدها. انظر: سهير القلماوي، **أدب الخوارج في العصر الأموي**، ص٧٠.

٢٣. عبد الرحمن بن ملجم المرادي المذحجي الخارجي قاتل علي بن أبي طالب في التاسع عشر من رمضان عام أربعين للهجرة. البداية والنهاية، ج٧، ص٣٢٧.

٢٤. انظر: شوقي ضيف، **العصر الإسلامي**، ص.١٨٦

٢٥. انظر: **المصدر السابق**، ص ١٨٦.

٢٦. انظر: **المصدر السابق**، ص١٨٧.

٢٧. انظر: **المصدر السابق**، ص ١٨٧.

٢٨. عبد القادر القط، **في الشعر الإسلامي والأموي**، بيروت، مكتبة الشباب، ١٩٨٢م، ص٣٧٦.

٢٩. عبد القاهر البغدادي، عبد القاهر بن طاهر بن محمد بن عبد الله التميمي، (ت ٤٢٩ هـ)، **الفرق بين الفرق**، بيروت، دار الآفاق الجديدة، ط٢، ١٩٧٧م، ص٨٢.

٣٠. إحسان عباس، **شعر الخوارج**، جمع وتحقيق، بيروت، دار الثقافة، ص٩.

٣١. أحمد الحوفي، **أدب السياسة في العصر الأموي**، القاهرة، دار نهضة مصر للطبع والنشر، م١٩٧٩، ط٥، ص ٩٨.

٣٢. انظر: الشهرستاني، **الملل والنحل**، ص١٢٣

٣٣. ثائر شعبان أبو ركبة، **البطولة في شعر الخوارج**، غزة، الجامعة الإسلامية، م٢٠١٢، ص٢٣.

٣٤. انظر: أحمد الحوفي، **أدب السياسة في العصرالأموي**، ص١٠٠.

٣٥. انظر: الشهرستاني، **الملل والنحل**، ص١٣٧.

٣٦. عبد الرزاق حسين، **شعر الخوارج، دراسة فنية موضوعية مقارنة**، عمّان، دار البشير، ١٩٨٦م، ط١، ص٢١.

٣٧. ابن الأثير، عز الدين أبي الحسن علي بن أبي الكرم الشيباني الجزري (ت٦٣٠هـ)، **الكامل في التاريخ**، م٣، بيروت، دار صادر، ١٩٦٥م، ج٤، ص١٤٧.

٣٨. عزيزة فوال بابتي، **معجم الشعراء المخضرمين والأمويين**، بيروت، دار صادر، بيروت، ١٩٩٨م، ط١، ص٣٠٨. والقعدية: هي تلك الفئة من الخوارج التي فصلت بين الإيمان والجهاد، فلم يكن الجهاد سببًا لاكتمال الإيمان عندهم لقعودهم عنه.

٣٩. الأصفهاني، أبو الفرج علي بن الحسين المرواني الأموي (ت٣٥٦هـ)، **الأغاني**، تحقيق (دار إحياء التراث العربي)، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ط١، ١٤١٧هـ، م١٠، ج١٦، ص١٥٢.

٤٠. سهير القلماوي، **أدب الخوارج في العصر الأموي**، ص١٣٢.

٤١. الشهرستاني، **الملل والنحل**، ج١، ص١٣٦.

٤٢. الأصفهاني، **الأغاني**، ج١٨، ص١٢١.

٤٣. الجاحظ، عمرو بن بحر، ت (٢٥٥هـ)، **البيان والتبيين**، تحقيق (عبد السلام هارون)، القاهرة، مكتبة الخانجي، ط٧، ١٩٩٨م، ج٣، ص٧

٤٤. عبد الله أبو بكر البيوضي، **خصائص شعر الخوارج عمران بن حطّان أنموذجًا**، المجلة العلمية لكلية التربية، العدد الرابع، ص١١٣.

٤٥. الأصفهاني، **الأغاني**، ج١٨، ص١٠٩

٤٦. إحسان عباس، **شعر الخوارج**، جمع وتحقيق، ص٢٦

٤٧. المسعوديّ، أبو الحسن علي بن الحسين علي، (ت٣٤٦هـ)، **مروج الذهب ومعادن الجوهر**، تحقيق (محمد محي الدين عبد الحميد)، بيروت، المكتبة العصرية، ج٢، ص٤٢٧.

٤٨. سورة الحجرات، الآية ١٣.

٤٩. إحسان عباس، **شعر الخوارج**، جمع وتحقيق، ص٢٤.

٥٠. الأصفهاني، **الأغاني**، ج١٨، ص١٢١

٥١. إحسان عباس، **شعر الخوارج**، جمع وتحقيق، ص٢٢

٥٢. **المصدر السابق**، ص٢١.

٥٣. معروف نايف، **ديوان الخوارج**، ط١، بيروت، دار المسيرة، ١٩٨٣م، ص١١٢.

٥٤. إحسان عباس، **شعر الخوارج**، جمع وتحقيق، ص٨٤.

٥٥. **المصدر السابق**، ص٢٨.

٥٦. محمود الحلحولي، **الموت والحياة في شعر الخوارج في العصر الأموي قطري بن الفجاءة نموذجًا**، مجلة جامعة الخليل للبحوث، م٦، العدد الأول، م٢٠١١، ص٩١.

٥٧. إحسان عباس، **شعر الخوارج**، جمع وتحقيق، ص١٥٨.

٥٨. **المصدر السابق**، ص٢٥.

٥٩. الأصفهاني، **الأغاني**، ج١٨، ص١١٢.

٦٠. محمد نافع المصطفى، **الموازنة بين شعر الخوارج وشعر الشيعة القرن الأول الهجري**، القاهرة، دار المصطفى، ٢٠٠١م، ج١، ص١١٧.

٦١. سورة طه، الآية ٨٤.

٦٢. إحسان عباس، **شعر الخوارج**، جمع وتحقيق، ص ٣١.

٦٣. **المصدر السابق**، ص٢١.

٦٤. **المصدر السابق**، ص٢٧.

٦٥. **المصدر السابق**، ص٢٤.

٦٦. **المصدر السابق**، ص٢١.

٦٧. **شعر الخوارج**، جمع وتحقيق إحسان عباس، ص٣٠.

٦٨. الأصفهاني، **الأغاني**، ج١٨، ص١١٢.

٦٩. إحسان عباس، **شعر الخوارج**، جمع وتحقيق، ص ٢١.

٧٠. **المصدر السابق**، ص٢٨.

٧١. **المصدر السابق**، ص٢٨.

٧٢. **المصدر السابق**، ص٢٧.

٧٣. **المصدر السابق**، ص٢٢.

٧٤. **المصدر السابق**، ص٣١.